كنائس ملائمة للمتنصرين الجدد فى المجتمع الإسلامى

تشارلس كرافت

obeikandl.com

obeikandl.com

أود فى هذا العرض أن أثير خمس مسائل لها علاقة وطيدة بمفهوم «الكنيسة» فى مجال تنصير المسلمين، وتتحد هذه الاعتبارات لتبرز لنا رؤية جديدة لما ينبغى أن يكون عليه أبناء الرب فى المجتمعات الإسلامية. وتكوين مجموعات أبناء الرب الذين يحققون مثل هذا التأثير المتكافئ والفعال داخل مجتمعاته هو هدف ما أسميه الملائمة»[1]، إن هذه الدراسة تصورية وعليه فإنها تركز كثيرًا على الجانب النظرى وتعطى القليل من المادة التوضيحية.

١- ما هى «الكنيسة» من وجهة نظر الكتاب المقدس؟

المسألة الأولى تتعلق بطبيعة ما نسميه «الكنيسة» وهذه الكلمة بالنسبة لنا اصطلاح فنى يشير أساسًا إلى مؤسسات وأزمان وأساليب وأنماط عبادة حقيقية وإلى النصارى والتزاماتهم كما نعرفهم من خلال تجاربنا معهم فى الثقافات الأوربية- الأمريكية، وفى الكتاب المقدس وبخاصة فى العهد الجديد منه وكذلك فى العهد القديم نتعامل مع اصطلاحات غير فنية لتصنيف البشر ضمن مجموعات، والاصطلاحات التى وردت فى الإنجيل وخاصة اصطلاح[2] (ekklesia) الإغريقى هو فى مفهومهم الثقافى أقرب كثيرًا إلى ما يعنى بالإنجليزية لقاء أو اجتماع من الكلمة الإنجليزية كنيسة، واصطلاح (ekklesia) الذى ورد استعماله فى متن العهد القديم الإغريقى وكذلك اصطلاح (sunagoge) هى ليست اصطلاحات فنية أبدًا، وفى حقيقة الأمر ووفقًا لما أورده **شميدت فى القاموس اللاهوتى للعهد الجديد**، فإن (ekklesia) **فى العهد الجديد** هى «اصطلاح دنيوى كلية» فى ترجمة **التوراة السبعونية** وتحتاج إلى عبارة «للرب» لتجعل معناه واضحًا أى «أبناء الرب وجموعه المحتشدة للصلاة» بدلاً من اجتماع آخر». ونفس الاستخدام غير الفنى والذى يحتاج إلى تطبيق سياقى على أبناء الرب، يميز استعمال (ekklesia) فى الإغريقية فى زمن العهد الجديد، ويكمن مغزى هذه

---

(1) Charles H. Kraft, "Dynamic Equivlent Churches" Missiology. I, 1973.

(2) K. L.schmidt, "Ekklesia, Theological Dictionary of the New Testment, 1928 - 1973, III, P.527.

الحقيقة بالنسبة لموضوعنا هذا فى أهمية معرفة الفرق بين اجتماع أبناء الرب الضرورى والشرعى وبين الطرق المحددة المغروسة ثقافياً والتى يجتمع بواسطتها أبناء الرب وينظمون أنفسهم، ونشاهد مثلاً عادات مختلفة أساسًا قام بتطبيقها أبناء الرب المؤمنين بالعهدين القديم والجديد فى اجتماعاتهم، ولكن نفس كلمات التوراة تطلق على التجمعات المختلفة.

إننى أستشف من هذا أن الرب مغتبط بقبول أساليب التنظيم والعبادة والشهادة والسلوك (طالما كان ذلك أخلاقياً) والصيغ العقائدية التى تختلف كثيرًا عما نفضله نحن كأمريكيين -أوربيين، أن شعوب الرب الذين وصفوا فى الكتب المقدسة ملتزمون جميعهم بولاء الإيمان للرب ولبعضهم بعضًا، ولكنهم عبروا عن هذه الالتزامات بمفهوم الأنماط الاجتماعية -الثقافية التى كانت سائدة، إن كنائسنا فى مسايرتها لطرقنا الثقافية السائدة فى تنظيم الجماعات تميل إلى «الرفقة» بمعنى أنها دائمًا مكونة من أناس يختارون بمحض إرادتهم لأن يترافقوا مع بعضهم بعضًا. بدلاً من أولئك الذين ولدوا دون إرادتهم ضمن مجموعات أسرية، من جهة أخرى فإن الانتماء الأسرى والقرابة هما القاعدة الأساسية بالنسبة للعبرانيين كى يصبح المرء جزءًا من مجموعة شعب الرب، كما أن جميع التركيبات الأخرى لحياة أبناء الرب كانت توجه أيضًا نحو أساليب ثقافية مناسبة وتشمل أنواع واستخدامات الشعائر والطقوس، والصلاة، والاتصالات وأساليب القيادة، والموسيقى والترانيم والصيغ المذهبية وخلاف ذلك.

ولا يبدو أن للرب مجموعة واحدة من الصيغ أو الأنماط التى يطلب من خلالها أن يعبر الناس عن علاقتهم به وعلاقتهم مع بعضهم بعضًا، وهناك بالطبع معانى إنجيلية عميقة (مثل علاقة الإيمان المتزايد بالرب) لن يكون هناك خلاص ولا نمو روحى بدونها، ولكن الأنماط والصيغ الثقافية التى يتم بواسطتها التعبير عن هذه المعانى يجب أن تكون ملائمة للثقافات المعاصرة كما كانت تلك الصيغ الخاصة بأبناء **الكتاب المقدس** ملائمة لثقافاتهم، يجب أن يؤدى النصارى عملهم فى البيئات المعاصرة وهذه هى الطريقة الوحيدة لمقابلة احتياجات المتنصرين ولإبلاغ الدعوة بصورة فعالة للذين لم يتنصروا بعد.

٢- شرعية مجمل الكتاب المقدس لتقديم نماذج يمكن احتذاؤها

إذا كان المفهوم الإنجيلى «لصفة الكنيسة» يؤيد التعبير عن المعانى الإنجيلية بواسطة الصيغ الثقافية للذين ستوجه لهم الدعوة، فإننا غير مقيدين بأجزاء معينة من **العهد الجديد** لنماذج ملائمة، لقد أصبح أمرًا دارجًا فى أوساط الكثير من النصارى الغربيين أن يعطوا الكثير من الأهمية فى بحثهم عن الهداية الإنجيلية للإيمان والممارسة إلى رسائل الرسول **بولس** بدلاً من بقية **الكتاب المقدس**، إننى أعتقد بأن الأسباب الرئيسية لهذا تنبع من تمسكنا بأصولنا العرقية بدلاً من متطلبات النصرانية- الإنجيلية، وبدون إنكار أهمية **الرسول** بولس فى صياغة الحقيقة النصرانية وتطبيقها، فإننى أود أن أقترح بأننا اعتقدنا كثيرًا بأن قيمة إسهامه بالنسبة لنا تدل على أهمية متساوية لكتاباته بالنسبة لأولئك الذين ينتمون إلى أى ثقافة أخرى، لقد علمتنى تجربتى الذاتية فى إفريقيا بأن أبناء الأمم ذات الثقافة الشبيهة بالثقافة اليهودية ترى الرب ورسالته بوضوح أكثر عن طريق أجزاء أخرى من **الكتاب المقدس**، إن الرسول **بولس** الذى توجه إلى الوثنيين «تحدث بأسلوب ملائم إلى أمريكا الأوربية، ولكن أجزاء أخرى من **الكتاب المقدس**، يمكن أن تتحدث بفعالية أكثر إلى أفراد الثقافات الأخرى.

إننى أشكك فى الفهم التطورى **للإنجيل** والذى يرى الرب يبنى هرمًا يتربع فوق قمته رومان وإغلاطيون، بينما أشكك أيضًا سراً أو علنًا فى ملائمة أجزاء **الكتاب المقدس** التى وجهت إلى اليهود إلى عصرنا هذا، إن **العهد القديم** وأجزاء **العهد الجديد** المكيفة لليهود ليست مجرد أجزاء تمهيدية لتلك الأهواء التى تمت صياغتها بأساليب الفكر الإغريقى، بل مساوية لها فى الوحى والاعتبار (على الرغم من أنها لا تجسد مدى المعلومات الإيحائية المتاحة للجيل اللاحق من الكتاب) وهى توضح فى نظرى كيف أن الرب ما زال يسعى للعمل فى أوساط الثقافات الأكثر مشابهة للثقافة اليهودية بدلاً من الثقافة الإغريقية.

هل هو موقف أقل نصرانية إذا ما عرف الإيمان بأنه الولاء أو المعرفة بأنها تجريبية بدلاً من كونها فكرية، أو الحقيقة على أنها مرتكزة على العلاقات أكثر من ارتكازها على الواقع كما فعل العبرانيون وكما يفعل غيرهم من كتاب الثقافات

المعاصرة؟ وهل ما زال غير شرعى مـواجهة الأرواح الشريرة باسم المسيح، وكذلك توقع أن يتـحدث الرب فى الأحـلام والرؤى، وإبلاغ وتعليم وقيـادة النصرانـية، وإعداد شعائرها، أى تنظيمها بطرق تذكر **بالعهد القديم والكتاب المقدس** متى كان هذا ملائمًا ثقافيًا؟ يوضح **الإنجيل** أن مثل هذه الوسائل هى تعابير ملائمة للعلاقات البشرية الإلهية المتبادلة داخل الثقافات العـبرية والثقافات التى تشبهها بصرف النظر عما إذا كانت تسـتفيد كثيرًا أو لا تسـتفيد من الثقافات الأمـريكية الأوربية، وأثناء تصفحنا **للكتاب المقدس** فإن الأسفار اللاحـقة التى أضيفت للأسفار التى سبـقتها يقوى ويزيد بالطبع إدراكنا للـرب وتفهمنا لطريقتـه فى العمل، ولكن هذا الإدراك يجب ألا يضلنا فنعتبر أن أفـعال الرب المماثلة لما هو موجود فى **العهد القديم** أقل صدقًا أو صحة عن نظيراتها فى العهد الجديد.

إن كلمة الرب أى **الكتـاب المقدس**، قـد صور بإسـهاب منحى الرب نحـو الساميين، فهو يبدأ من ثقافتهم ثم يؤثر بقوة على مسيرة هذه الثقافة، وهو يقبل نقطة انطلاقهم الثقـافية فيما يخص كل شىء عدا ولائـهم الأساسى فهذا الولاء يجب أن يكون موجـهًا له هو فوق كل الآلهة، غـير أنه يطالب فى بـداية الأمـر أو قد لا يطالب بقليل مـن التغييـر فى عاداتهم وأنماط حيـاتهم وبنيتهم العـائلية والاجتماعية، وأساليب قياداتهم، ومفهومهم للحياة والزمن والخطيئة والأخلاق، وحتى مفـاهيمهم للمخلوقات الخارقـة للطبيعة ومن أنواع طقوسـهم وشعائرهم وموسيقاهم، وأساليب اتصالهم، وطرقهم التعليمية، وما شابه ذلك.

إن الهدف من كـل هذا هو الاقتراح بأن نـعود إلى **الإنجيل** لنكتـشف كيف أن الرب يريدنا أن نصل إلى المسلمين ولنكتشف أين يعمل الرب فى أوساطهم.

وفيما يخـتص بأولئك المسلمين الذين لديهم ثقافات سامـية (ومعظم أولئك الذين ليس لديهم ثقافات سامية أيضًـا) فهناك الكثير من النظائر فى تلك الأجزاء من **الإنجيل** والتى غالبًا ما يتـجاهلها الأمريكيون- الأوربيون، وعند مـحاولة إيجاد طرق للوصول إلى أناس لهم ثقافات مشـابهة للثقافات الساميـة - الإنجيلية يجب علينا أن نلقى نظرة فاحصة على الأجزاء السامية من **العهد القديم والعهد الجديد** وليس على تلك الأجزاء

التى وجهت إلى الجماهير الرومانية - الإغريقية بصرف النظر عن ما بيّنه الرسول بولس عن مبدأ الرب فى هذا الخصوص، كان واضحًا جداً أمام جمهور من هذه الجماهير الرومانية- الإغريقية. أى إننا فى محاولتنا الوصول إلى الناس علينا أن نتعامل مع اليهودى كيهودى ومع الإغريقى كإغريقى (كورنثوس الأولى ٩: ١٩- ٢٢).

٣- التمييز بين الإيمان الروحى والممارسات الدينية

هنالك نقطة ثالثة تخص الآثار التخريبية لاستخدامنا المتواصل لكلمة «دين» فهذه الكلمة مضللة إلى درجة كبيرة ذلك أنها تستخدم بمعنيين اثنين مختلفين تمامًا من قبل الأشخاص أنفسهم فى المناقشة نفسها فهى تستخدم فى الغالب لتشير إلى نظام ثقافى محدد ومكون من بيئات ثقافية نادرًا ما تكون شيطانية فى ذاتها. ومن ناحية أخرى تستخدم هذه التراكيب للتعبير عن ولاء الإيمان الأساسى لأولئك الذين يستخدمونها، وإذا كان هذا الولاء لشىء أو لشخص غير الرب النصرانى فلن ينظر إليه النصارى بحياد.

والمثال الذى يمكن أن نسوقه من **الكتاب المقدس** فيما يتعلق بالنقطة السابقة يأتى من **قصة إيليا وأنبياء البعل (الملوك الأولى: ١٨)**. فإيليا وأتباع يهوا قد استخدموا البنيات الثقافية السامية للتعبير عن إيمانهم بيهوا، ومن ناحية أخرى فإن أتباع البعل قد استخدموا بنية ثقافية سامية مماثلة للتعبير عن إيمانهم بالبعل، وبالإضافة إلى ذلك من المحتمل أن تكون كل مجموعة من هذه المجموعات مؤمنة بوجود إله (أو آلهة) المجموعة الأخرى، فالقضية إذن ليست قضية خلاف فى الممارسات الدينية وإنما خلاف جوهرى فى الالتزام أو الولاء الروحى.

إن أنواع الشعائر والطقوس وأنماط السلوك وأماكن وأوقات الاجتماع والموسيقى (إن وجدت) وأوقات الصلاة وأوضاعها وحتى الصيغ العقائدية تعتبر كلها ثانوية بالنسبة للولاء الذى تم التعبير عنه بواسطتها. ومع ذلك فإن هذا الولاء هو مسألة خلاص سرمدى. ومن المؤسف أن الدعاة يعرضون النصرانية كنظام دينى منافس لأنظمة دينية أخرى بدلاً من عرضها، وكإيمان روحى يمكن التعبير عنه، وممارسته من خلال مختلف الأنظمة الثقافية، وكنظام دينى فإن أى تعبير عن النصرانية هو

تمامًا، ككل دين آخر، نتاج ثقافة معينة، وقد يستخدم هذا النتاج ليعبر عن علاقة إيمان خلاصى حقيقى بالرب بواسطة المسيح، غير أنه محدد بثقافة بعينها، وأى مناقشة بين البنيات الدينية المصنفة على أنها نصرانية وتلك المصنفة على أنها مسلمة هى ببساطة مناقشة سطحية ثقافية بين البنيات المفضلة لإحدى الجماعات وتلك المفضلة لمجموعة أخرى. والمواجهة بين ولاء إيمان عميق وآخر هو مع ذلك مسألة مختلفة تمامًا.

وكما أشار عالم الاجتماع هومر بارنيت عام ١٩٥٣م فإن التجديد والإبداع الثقافى هو نتيجة إعادة توحيد مفاهيم قائمة لإحداث هيئة جديدة (الشكل أ). لقد شاهدنا عادة الولاء النصرانى ممتزجًا ومتخذًا أشكالاً دينية للثقافات الغربية وهذا الاتحاد قوى لدرجة أن كل من فى الداخل والخارج يشير إلى هذه البنيات على أنها «نصرانية» والولاء الإسلامى كان هو أيضًا متزاملاً بقوة مع بنيات ثقافية معينة، إن هذه البنيات صنفت على أنها «مسلمة»، وأنا أؤمن مع ذلك بأنه سوف يكون ضمن توجيهات **الإنجيل**، بكل ما يعنيه هذا العمل من أجل مزج الولاء النصرانى مع ما يدعى بالأطر الدينية المسلمة (الشكل ج) ولقد أوجز **تشارلس كرافت** الصورة[1] التى قد تظهر عليها إعادة التوحيد هذه بالنسبة لمعظم الثقافات «المسلمة».

وبالتأكيد وكما أوضحت فى مجال آخر فإننى أعتقد بأن هذا ما كان محمد نفسه يحاول أن يفعله، أى توحيد الولاء لرب اليهودية - النصرانية مع التراكيب الثقافية العربية، ولقد قام إبراهيم وموسى والرسول بولس من قبله بعمليات توحيد متشابهة بين ذلك الولاء والثقافات التى كانوا يعملون فيها، ولسوف يسأل معظم النصارى فيما إذا كان محمد قد نجح فى جهوده الرامية إلى التوحيد بدون أن يحول ويحرف الولاء، ومع ذلك فقد يكون مثل هذا الحكم من قبل النصارى الأمريكيين - الأوربيين متأثرًا بعدم استطاعتنا تخيل الولاء النصرانى مقرونًا بأى شىء غير الأطر الدينية الثقافية الغربية بدلاً من تأثره بحقائق أكثر صلة بموضوع تقييم الولاء الدينى.

---

(1) Chales Kraft, "Psychological stress Factors Among Muslims", **Media in Islam,** C, Richatd Shumaker, ed., pp. 137- 144.

باعتقادى أن الاستخدام المبهم لكلمة دين قد عكر صفو المياه فى هذه المرحلة، ولاحظ فى هذا كيف يبدو الأمر غريبًا حتى فى أن نقترح إمكانية استخدام اصطلاحات مثل «نصارى - مسلمون» أو «مسلمون - نصارى» للإشارة إلى أولئك الذين يسلمون أنفسهم للرب عن طريق السيد المسيح بينما يبقون ببساطة مسلمين ثقافيّاً (كما يظل الأمريكى أمريكيّاً ثقافيّاً)، لقد شاهدنا حتى الآن نصارى - عبرانيين ومجموعة كبيرة من التعبيرات الإفريقية للنصرانية حيث يتجلى هذا النوع من التمازج الاتحادى.

٤- حشود الكنائس التى تلائم المتنصرين الجدد

توجد النماذج الأكثر وضوحًا لهذا التوحيد فى مجال التفسير والترجمة من لغة إلى لغة أخرى، نحن جميعًا نؤمن بإمكانية الأخذ بمعان ثم التعبير عنها أصلاً فى لغة معينة ومن ثم ترجمتها دقيقة إلى لغة أخرى، ونحن نعرف أيضًا بأن هناك دائمًا خسائر ومكاسب بسبب هذا التوحيد حيث إن الترجمة مهما كانت دقيقة فلن تكون كالأصل تمامًا، لكن المترجم المتمكن من صناعته يقوم بتوحيد معانى التعابير الأصلية بالبنية اللغوية للغة الثانية بحيث يؤدى التوحيد إلى ما يلى:

١- إيصال المعنى الأساسى المذكور فى اللغة الأصلية.

٢- إثارة رد فعل لدى سامع الترجمة يكون مساويًا لذلك الذى يحدث عند سماع الأصل (الشكل ب).

والترجمة الضعيفة هى حصيلة التوحيد الذى يحتوى على الكثير من التركيبات اللغوية للغة الأصلية بحيث تتعارض مع المعانى المقصودة، وأوضح أنماط التوحيد الخاطئ يظهر فى الترجمات الأمريكية الرسمية والمنقحة والتى صيغت بلغة إنجليزية متأثرة بدرجة كبيرة بالتركيبات الإغريقية التى لا تستخدم ولا تفهم خارج نطاق الكنيسة، مثل هذه الترجمات تفرض على قرائها الإلمام بالصيغ والتراكيب الغريبة بحيث يستطيعون استخلاص المعانى المقصودة من عملية التوحيد الجزئى، ومن ناحية أخرى فإن التوحيد الكامل يمكن المترجم من استخدام صيغ وتراكيب اللغة الثانية بطريقة فعالة لإيصال المعانى الأصلية للسامع بالفاعلية نفسها، والترجمة الجيدة تلتزم بهذا بصورة طبيعية بحيث لا يلاحظ بأنها ترجمة.

وبصورة مماثلة يتسنى لمجتمعات شعب الرب إعادة توحيد المعانى المتضمنة فى الرسوم التوضيحية المعتمدة عن «شعب الرب» من خلال تركيبات الثقافات المعاصرة (الشكل د)، ومن ثَمَّ فإن التركيبات الجديدة فى الوقت الذى تكون فيه معبرة وبصورة أمينة عن المعانى الأصلية، تكون مفهومة فى ثقافة السامع لدرجة لا تتطلب منه الإلمام بتركيبات أجنبية لاستخلاص المعنى المقصود، كما أنها لا تحتاج أيضًا إلى مترجمين أجانب لشرح معانى التركيبات المستعارة، ولا تزال الحاجة ماسة لخبراء من ثقافات أخرى لدفع الناس إلى إيمان تخليصى وليس لتدريسهم ثقافة أجنبية فى حين أن مجتمعًا متكافئًا وفعالاً لأبناء الرب لا يبدو وكأنه قد تم إنشاؤه فى مكان آخر ثم تم استيراده بعد ذلك. إن هذا هو نوع التوحيد الذى انشغل به الرسول بولس عندما نقل رسالة الرب من بيئة ثقافية عبرية إلى بيئة ثقافية إغريقية، وقد قام قبله بالطبع أولئك الذين أعدوا ترجمة **التوراة السبعونية** واليهود الهيلينيين بتوجيه المفاهيم الدينية العبرية إلى هذا الاتجاه، ولكن فى تلك الحالة كانت القضية هى تعلم نفس المجموعة العرقية التعبير عن ولائها بلغة مختلفة، لقد كان موقف الرسول بولس مشابهًا تمامًا لموقفنا فى أنه عندما تحول نحو الوثنيين فكر فى تحريك المعانى النصرانية وصبها فى قالب اجتماعى جديد يستخدم بواسطة مجموعات عرقية مختلفة (غير عبرانية).

وبمقارنة مشكلتنا مع مشكلة الرسول بولس فإننا نستطيع فرد ميزتين مفيدتين، فنحن نلاحظ أولا أن الرسول بولس كان يحرك رسالة **الكتاب المقدس** من قالب سامى إلى آخر أوربى يجرى التعامل معه لأول مرة، ولكى يكون اتصالنا أو عملنا مع المسلمين فعالاً فإن مشكلتنا تكمن فى عكس ذلك الاتجاه بالتحرك من نهج أوربى نحو ثقافات شبيهة بالثقافات السامية.

ثانيًا: نجد أن مهمة الرسول بولس قد أصبحت سهلة إلى حد ما حيث أتمت أعدادًا كبيرة من العبرانيين عملية التحول اللغوى، وإلى حد ما التحول الثقافى، من اللغة والثقافة الآرامية إلى اللغة والثقافة الإغريقية. وبما أن الرسول بولس قد ذهب إلى أبعد من هؤلاء اليهود الهيلينين فى استخدامه لأطر الفكر الإغريقى والبنيات الثقافية الإغريقية، فقد كان مستعداً للبناء استنادًا إلى نماذج مثل الكنيس

اليهـودى والذى قد تم إنشاؤه اسـتناداً إلى التوحيـد الذى قام به الهـيلينيون، وفى جهودنا لتحفيز مجموعات نصرانية متكافئة بصورة فعالة داخل المجتمعات المسلمة، فإننا أيضًـا لدينا نماذج مشابهة يمـكن أن تساعدنا فى التركـيبات الثقـافية السامـية الواضحة فى معظم أجزاء **الكتاب المقدس**.

٥- تطوير أساليب جديدة

إن تحـــديد الأهداف هو الخطوة الأولـى التى يجب اتخـــاذها لتطـوير أسلوب جديد. وأنا أقترح أن يكون الهدف هو إيجاد مجموعات من أبناء الرب فى أوساط ما يسمى «الثقافات الإسلامية» وتكون هذه المجموعات:

١- ملتزمة بولاء الإيمان للرب وفقًا للوحى الإنجيلى.

٢- أن تؤدى وظيفتها ضمن قالبها الاجتماعى - الثقافى وبطرق متكافئة فى فعاليتها مع الأمثلة التى نصح بها **الكتاب المقدس**. ودراسة عرقية -لاهوتية مطولة لهذا الهدف ومضامينه هى خطوة أولى مهمة نحو تطوير أساليب جديدة حقيقة.

نحن نحتاج مع ذلك أن ننظر واقعياً إلى بعض العقبات الرئيسية والتى يجب أن نتغلب عليـها، وهناك الاحتـمال الواضح بأننا كأمـريكيين - أوربيين لنا عـلاقات تاريخية مؤسـفة مع المسلمين قد تجعلنا غـير مؤهلين للشهادة المباشـرة فى كثير من المناطق. ونحتـاج إلى أن ننظر بحرية أكـثر مما سبق نحـو الأثر المضعف للشـهادة النصرانـية بسبب الكراهـية النظرية التى تنتـشر كثـيراً بين المسلمـين لأولئك الذين يمتون بصلة للحـروب الصليبية إضافـة إلى قيام إسرائيل وإلى ما يعتـبره المسلمون ضلالاً لاهوتياً وعليه فقد نحتاج إلى أن نطرق أساليب غير مباشرة.

تنجم إحدى هذه العقبات عن حقيقة أن استراتيجية التنصير الأوربية - الأمريكية كانت عمومًا مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالعقلية الاستعمارية. ولهذا السبب كانت ناجحة كلما تعـرضت الشعوب إلى التأثيـر القوى وحتى إلى التخـويف بواسطة الإنجازات الثقافية الأوربيـة - الأمريكية، لقد كنا تمامًا مثل المهودين، أكـثر نجاحًا حيث يكون الناس على الأقل مـستعـدين للتحـول إلى أجزاء من ثقـافتنا (بما فى ذلك الـصيغ اللاهوتية الأوربية - الأمريكية إضافة إلى تنظيماتنـا التكنولوجية والطبية والتعليمية)

فى نفس الوقت الذى يتحولون فيه إلى معتقدنا، لقد قاوم المسلمون بصورة عامة بالطبع هذا الإكراه الثقافى وخاصة فى المسائل اللاهوتية وبهذا تركونا بدون استراتيجية تنصيرية، علينا لذلك أن نتعلم كيف نكسب أو ننال حق الإصغاء إلينا استنادًا إلى ما تلبيه الرسالة الإنجيلية من الاحتياجات التى يشعر بها المسلمون، وطلب الإصغاء إلينا على أساس منجزاتنا الثقافية، على الرغم من النجاح الحالى لهذا الأسلوب فى أجزاء كثيرة من العالم، يجب أن يتغير كأسلوب للاقتراب من المسلمين (أو من سواهم).

والعقبة الثالثة التى يجب إدراكها وتخطيها فى تطوير الأساليب الجديدة هى الكنيسة التى ما زالت قائمة فى بعض الأراضى الإسلامية، وقد يبدو صحيحًا اليوم تمامًا كما كان فى أيام السيد المسيح والرسول بولس، وهو أن بعض أكبر العقبات فى تنفيذ أعمال الرب يتسبب فيها أولئك الذين يعتبرون أنفسهم قويمى الرأى والمعتقد، ومثل الفرنسيين والمهودين فإن العديد من الجماعات النصرانية اليوم قد نمت موانعًا امتزجت مع رموز تركيبة وتعابير لتقويتهم غير مألوفة (للمسلمين) بقصد إبعاد وعزل من سواهم بدلا من جذبهم واحتوائهم، ولم يحاول يوحنا المعمدان أو السيد المسيح أو الرسول بولس أن يضموا أناسًا إلى هذه الجماعات، إن تطوير شهادة نصرانية (إنجيلية) فعالة نحو المسلمين قد يتطلب أن نتجنب على أقل تقدير بعض المجتمعات النصرانية الموجودة فى الأراضى الإسلامية.

ولتطوير أساليب جديدة فإن اهتمامنا يجب أن ينصب على أن تكون كل من غاياتنا ووسائلنا نصرانية بحق وحقيقة، ويجب أن تقودنا الفطرة السليمة المشبعة بالإلهام الروحى لأن نأخذ بعين الاعتبار الأسئلة الآتية:

من هم فى داخل العالم الإسلامى الذين ربما يكونون أكثر نزعة إلى تقبل الرسالة؟ من هم أولئك الذين يمكن أن يكون المتقبلون للرسالة أكثر استعدادًا للاستماع إليهم؟ ما الطريقة التى يمكن أن تقابل برد فعل إيجابى؟ أن روح الرب بالطبع ستكون فى عمل متواصل ولكنها تحقق نتائج أكثر وأعظم عن طريق بعض

الناس وبعض الطرق، لقد انتقدت فى مجالات أخرى[1] الطرق التى تتبع للتقرب من المسلمين على أساس المنافسة بين مفاهيم وتركيب نظامهم وبين النظام الغربى بهدف تحويلهم المسلمين إلى فهم وتعبير ثقافى غربى للولاء النصرانى، إن الكثيرين منا يعارضون هذا المنهج ولكننا نحتاج إلى القيام بتفحص دقيق وعميق لعواقب تحيزنا العرقى والتزامنا باستراتيجيات متنافسة.

هل يتمكن الأمريكيون - الأوربيون من تخطى هذه العوائق عند تعاملهم مع مثل هذه المسألة الحساسة على أنها أساس الولاء للعقيدة؟ وإذا كنا غير مؤهلين فهل يوجد غيرنا يمكن أن نساعده للقيام بهذا العمل؟ وإذا كان بمقدورنا أن نعمل بفعالية فعلى أى أساس؟ هل يمكن على الأقل أن يطور بعض الأمريكيين - الأوربيين المقدرة على التعامل مع المسلمين كما فعل المسيح والرسول بولس بهدف التمكن من التأثير عليهم من داخل أطرهم الثقافية؟ هل يمكن للمرء أن يكون مسلمًا - نصرانياً كما كان المسيح والرسول بولس والكثير من أتباعهم عبريين - نصارى؟ (الشكل ج).

يبدو أن أعداد المسلمين المستعدين لتقبل الرسالة هذه الأيام هو أكثر مما كان عليه سابقًا، ويجب دراسة هؤلاء الناس وتحليل الظروف التى تجعلهم مستعدين لتقبل الدعوة، وهذا الفهم إضافة إلى نظرة **الكتاب المقدس** الكاملة حول السبل التى يمكن اتباعها والتى يمكن أن تؤدى إلى إنجازات أصلية.

رسوم بيانية

أ- النموذج الأساسى:

المجموعة أ ب المجموعة س ص استبدال (ص) ب (ب) تنتج إعادة توحيد (أ) و (ص).

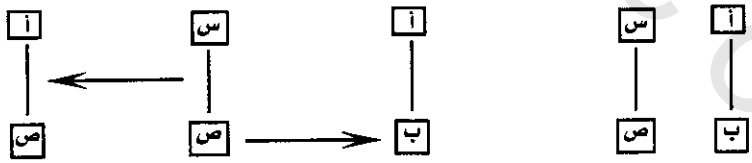

(1) Charles H. Kraft, "Distnctive Religious Barriers to Outside Penetration", **Media in Islamic Culture,** pp. 65- 76: also "Guidelines for Developing a Message Geared to the Horizon of Receptivity". Parts 1 and 2, pp. 17- 33.

(ب) النموذج الذى يطبق على الترجمة - الهدف: الوظيفة المساوية للرسالة الأصلية (ب) وسط المستمعين الذين يستخدمون اللغة الجديدة.

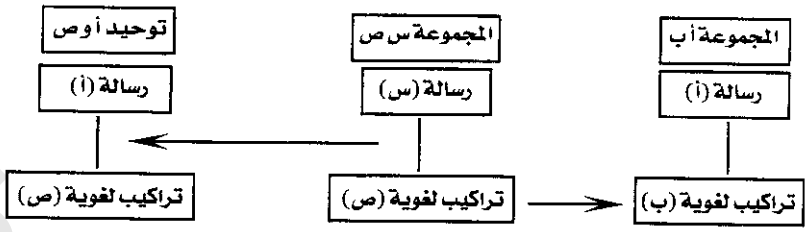

(ج) النموذج الذى يطبق على الدين - الهدف: الوظيفة المساوية للولاء النصرانى فى داخل الأطر الثقافية للشرق الأدنى «الإسلامى» ومن خلالها:

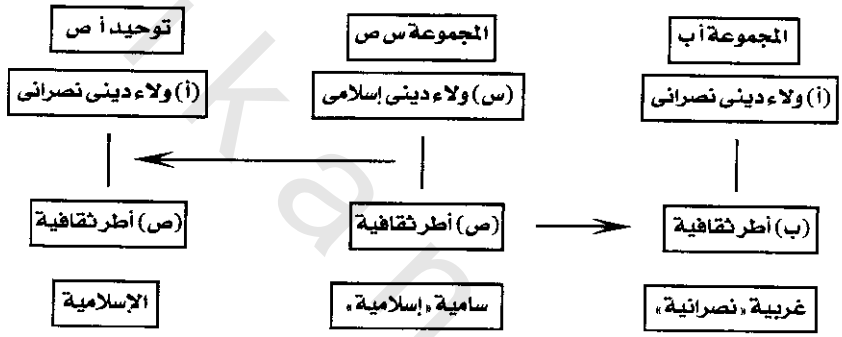

(د) النموذج الذى يطبق على الكنيسة - الأهداف: الوظيفة المتساوية لمجتمع الرب فى أطر ثقافية جديدة.

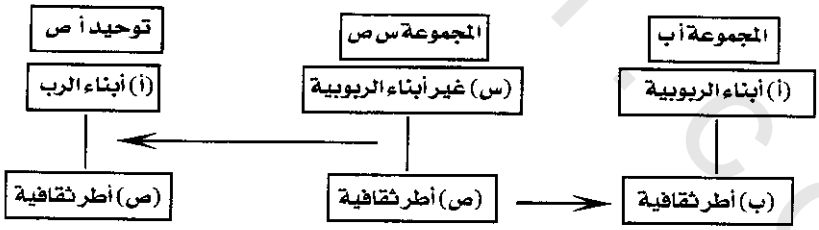

خلاصة تعقيبات المشاركين

لم يكن الذين أرسلوا ردودهم محايدين بالنسبة لما طرحه **دكتور كرافت** وتعتبر ردود الفعل المصاحبة للدراسة التى قدمها لهذا المؤتمر دليل على هذه الحقيقة. ورد فى هذه الردود ما يلى:

- «إنها أحسن وأسوأ دراسة على الإطلاق مرت علينا حتى الآن».
- «مثيرة للغضب وفى الأماكن الصحيحة.. لقد طال انتظارنا لها».
- «إننى أخالف كثيراً أفكار **دكتور كرافت** لكننى معجب بتفكيره الخلاق».
- «دراسة ممتازة ومثيرة».
- «أقل الدراسات إقناعًا».
- «مثيرة ولكنها ليست واقعية كثيراً».

لقد أحدث العديد من الموضوعات المحددة ردود فعل مختلفة لدى القراء. ومن هذه الخلاصة سيكون من المفيد أن ننقل بعض ردود الفعل هذه تحت العناوين المدرجة أدناه، ومرة أخرى بينما كان معظم القراء متفقين مع **دكتور كرافت** فإننا سوف نركز على أولئك الذين خالفوه الرأى.

حول الوحى «التقدمى»

ورد فى التعقيبات ما يلى:

- «هتاف ثلاثى تحية لإصرار **دكتور كرافت** على استخدام مجمل **الكتاب المقدس**».
- «الوحى التقدمى لم يعنى فى وقت من الأوقات ما قصده **كرافت**».
- «**الكتب المقدسة نفسها تشير إلى الطبيعة التقدمية لوحى الرب للناس**».
- «**رغم إمكانية الحصول على نماذج من العهد القديم** لمجتمع العقيدة... فإن مفهوم الجسم وتقديم الهدايا والالتزام الأفقى للمؤمنين لا يمكن فهمها بصورة كاملة ببساطة وبسهولة.. وبدون خلفية لاهوتية مناسبة عن مجتمع ما بعد البعث».
- «**إن العهد القديم** بالتأكيد، مساو لخطابات الرسول بولس فى درجة الوحى والسلطة لكننى لا يمكن أن أطور كنيسة... اعتماداً على تعليم **العهد القديم**».

حول المسلمين -النصارى (مرة أخرى)

ورد ما يلى من تعقيبات:

- «النصارى -العرب والنصارى- اليهود مصطلحات متساوية، أما المسلمون - النصارى، والهندوس- النصارى فإنها تناقض بعضها بعضًا».

- «يبدو أن دكتور كرافت قد وفق جداً بمضايقتنا بمصطلحات محشورة مثل مصطلح المسلمون -النصارى».
- «يجب أن يكون المصطلح المستخدم هو النصارى -المسلمون وليس المسلمون- النصارى».

حول الكنيسة الملائمة

وحول هذا الموضوع كتب بعض المعقبين ما يلى:

- «أهداف تستحق الاهتمام وأفكار رائعة».
- «مفهوم صحيح وملح... لكنه يحتاج إلى تكامل لاهوتى/ إنجيلى ودقة يحددها شخص آخر».
- «هل عايشت الكنيسة فى عصرها الأول المفهوم الكامل لما أراد الرب أن يكون عليه أبناؤه وكنيسته؟».

حول الولاء الدينى

وفى هذا الخصوص ورد ما يلى:

- «تصوير كرافت أن عدم استطاعتنا تخيل الولاء النصرانى مقرونًا أو متحدًا بأى شىء ما عدا الأطر الثقافية والدينية الغربية... يتجاهل الكثير من الجهد الذى قامت به الإرساليات والنصارى فى أنحاء العالم للتكيف مع الثقافات التى يعيشون فى وسطها».
- «ليس صحيحًا بالضرورة أن الأطر الدينية الفطرية تعبر تعبيرًا كافيًا عن الولاء الدينى عندما يكون ذلك الولاء للرب النصرانى والسبب واضح: أن آلهة الولاء السابق كانت مزيفة».

حول الأشكال والمعانى

ورد التعقيب التالى:

- «لا نجد فى هذا المقال شكلاً معدلاً لبدعة غنطوسية، فقد جرى تقليل معانى الإيمان إلى معان عميقة من معانى الكتاب المقدس (مثل علاقة الإيمان المتناهية

مع الرب)... بدلاً من أعمال الرب فى التاريخ من أجل خلاص البشر والتى هى قيام الرب بنفسه بأعمال لخلاص البشر، هذه الأعمال تصبح «مجرد معان» (كما يقول الكاتب) ينبغى نقلها فى الإطار الجديد... لماذا لا نتحدث (للأمريكان) عن **جورج واشنطن** وهو يعبر نهر الديلاوير (بدلاً من الحديث عن موسى وهو يعبر البحر الأحمر)، إن الحديث عن **واشنطن** أكثر إيضاحًا من الناحية الثقافية بالنسبة للأمريكى المعاصر. (لأن الكاتب يخبرنا بأن المعانى هى لب الموضوع)».

رد الكاتب على تعقيبات المشاركين

أود أن أشكر الـ ١١٨ فردًا الذين علقوا على ما كتبت ويسعدنى كثيرًا أن الغالبية قد شعروا بأنهم استفادوا، ويؤسفنى أن أقلية لم يفهموا وأخجلوا تواضعى للجدية التى تناول بها الكثيرون هذه الدراسة، وإن ردى ينحصر فى اتجاهين:

١- بعض التنقيحات الطفيفة على المقالة.

٢- التصريحات اللاحقة بخصوص الموضوعات الرئيسية التى أثيرت.

إن المشكلة العويصة هى محاولة فصل الولاء للعقيدة لأناس معينين من أطرهم الدينية، وكما قال أحد الذين علقوا على الدراسة بأن جزءًا من كون المرء مسلمًا هو عدم التفريق بين الولاء والأطر، فأنا لا أملك إجابة بسيطة ولكننى أقترح:

١- ضرورة صياغة القضايا الأساسية بوضوح (كما حاولت أن أفعل).

٢- الحاجة إلى إجراء البحوث لاكتشاف ما إذا كان هناك فى الحقيقة بعض المسلمين ولو قليل منهم يتصرف على أساس هذا الفارق.

٣- إن الولاء المستمر لثقافة فرد ما، ليس خطأ ما دام هذا الولاء للثقافة وسيلة وللرب نهاية.

٤- تحديد هذا الفارق ومعرفة الأولويات قد يكون أكثر قضية حاسمة فى عملية إيصال **الكتاب المقدس** الصحيح لأى شخص فى أى مكان.

لاحظوا أن الرب بدأ عمله مع إبراهيم عن طريق تركيز انتباهه على الرب كهدف (غاية) والذى كان على إبراهيم أن يستخدمه فى ثقافته. وكانت هذه «مواجهة قوة» حول ما إذا كان ولاء إبراهيم الأعلى للغاية التى من أجلها يستخدم ثقافته سيكون إلى شىء (الآلهة، العائلة، التقاليد، الثروة) محصور فى النظام الثقافى أو إلى الرب الحقيقى الذى يوجد خارج نطاقه، وهذا هو نفس التصادم الذى نشاهده من خلال مجمل تاريخ إسرائيل والنصرانية (والإسلام؟)، ذلك الصراع بين الولاء للنظام مع قليل من الولاء الأسمى للرب الحقيقى والتخلى الكامل عن الرب ذاته، لاحظوا تصريح المسيح الذى يقارن فيه بين الولاء لشخصه وبين الولاء للأسرة (**متى ١٠ : ٣٧**) وكذلك تصريح الرسول بولس الذى يقارن فيه بين تطهير الروح الداخلى والخارجى (**رومة ٢ : ٢٨، ٢٩**) كمثالين من بين العديد من الأمثلة التى توضح طريقة **الكتاب المقدس** فى معالجة هذه النقطة.

إن اقتراحى حول ضرورة تجاوز الكنائس القائمة حاليًا أثار تعليقات كثيرة، فمعظم الإرساليات العالمية والكثير من الإرساليات الميدانية كانت إيجابية للغاية، كان القلق الأكبر (وأنا أشارك فيه) هو أن أى تجاوز يجب أن يشمل محاولة رقيقة لإيصال الأسباب لأعضاء الكنائس القائمة، وإننى أعارض مع ذلك الحجج المخالفة المبنية على:

١- الرغبة فى الحفاظ على المؤسسات القائمة أو المفاهيم الغربية للوحدة (أى الانتظام).

٢- الرغبة فى التضحية بالتفويض التنصيرى خوفًا من زيادة تصدع وتفكك المجموعات النصرانية.

وبما أن منظرى البدائل الملائمة للتنصير بحاجة لأن يكتشفوا من طيات **الكتاب المقدس** ذلك التأثير الذى يبتغيه الرب، فليس هنالك ما يجعلنى أتشكك فى صدق النموذج النابع من الاتصال المباشر وليس من علم اللغويات، وعليه فإن للنموذج القدرة على التعامل مع أوجه ثقافية أخرى وليس فقط اللغة، وعلى كل حال لا بد من إجراء المزيد من البحوث وإعداد الكثير من الأمثلة.

إن أذكر، أن اهتماماتى تتركز على علم الأجناس البشرية أكثر مما تتركز على الأمور اللاهوتية، إننى فقط أوجد المعطيات الواردة فى **الكتاب المقدس** مع منظور آخر يستند إلى علم الأجناس البشرية (لاحظ ص أدناه) عوضًا عن توحيد معطيات **الكتاب المقدس** مع المنظور التاريخى - الفلسفى (أ ب) للاهوت التقليدى.

المجموعة (أ ب)	المجموعة (س ص)	إعادة توحيد (أ ص)
(لاهوت تقليدى) معطيات الكتاب المقدس (أ) المنظور التاريخى الفلسفى (ب) معطيات علم الأجناس (ص)	(علم الأجناس البشرية) معطيات ثقافية (س) معطيات علم الأجناس البشرية (ص)	(اللاهوت النصرانى - العرقى) معطيات علم الأجناس البشرية (أ)

إن وجهة نظرى حول «الوحى التقدمى» لا تشك فى زيادة المعلومات الموحاة كلما توغلنا فى **الكتاب المقدس**، إن الذى أؤكده هو أن **الكتاب المقدس** كله موحى، وإن جميع معطياته صالحة للاستعمال اليوم وينبغى ألا نتجاهل أو نهمل أى جزء منها لأنه لا يروق لنا أو لوجود نص لاحق مهم، إن فعالية أى نص من نصوص **الكتاب المقدس** ومقدرتها على مخاطبة الناس واستمالتهم يجب أن تكون هى اهتمامنا الأول والأساسى (علمًا بأنها ليست الاهتمام الوحيد) ما دام أن رسالة الإخلاص تنتشر فى كل جزء من أجزاء **الكتاب المقدس**.

●●●

المراجع

Barnett, Homer G.

1953 **Innovation: The Basis of Cultural Change.** New York: McGraw - Hill

Kraft Charles H.

1973 "Dynamic Equivalence Churches," **Missiology** 1:39- 57.

1974 a "Distinctive Religious Barriers to Outside Penetration," **Media in Islamic Culture.** C. Richard Shumaker, ed. Marseille: International Christian Broadcasters and Evangelical Literature Overseas, pp. 65- 76.

1974 b "Guidelines for Developing a Message Geared to the Horizon of Receptivity, Parts 1 and 2," **Media in Islamic Culture.** C. Richard Shumaker, ed. Marseille: International Christian Broadcasters and Evangelical Literature Overseas, pp. 17-33.

1974 c "Psychological Stress Factors Among Muslims," **Media in Islamic Culture.** C. Richard Shumaker, ed. Marseille: International Christian Broadcasters and Evangelical Literature Overseas, pp. 137- 144.

Schmidt, K. L.

1928-73 "Ekklesia," **Theological Dictionary of the New Testament.** G. Kittel, ed. G. Bromiley, translator. Grand Rapids: Eerdmans, Vol. III, pp. 501- 536.

●●●

obeikandl.com